ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

"21عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

العدد (5937) السنة الثانية والعشرون - الاثنين (7) تموز 2025

www.almadasupplements.com

ذاكرة عراقية

كيف أيدت كربلاء ثورة 14 تموز 1958؟

عندما أصبح فؤاد عارف متصرفا للواء كربلاء

كيف أيدت كربلاء ثورة 14 تموز 1958؟

إعداد د: سعد سوسه

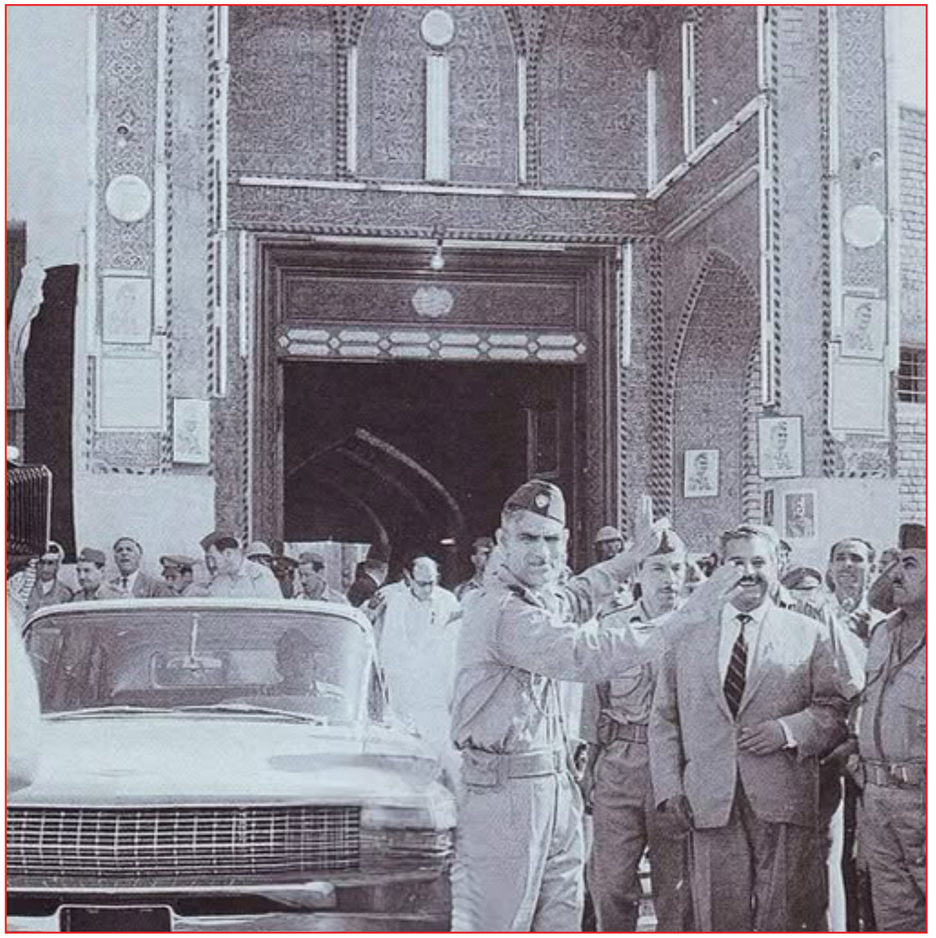

التحق فؤاد عارف في الخامس عشر من تموز بمنصب متصرف لـواء كربلاء، اذ صدر في اليـوم الاول للثورة المرسـوم الجمهـوري رقم (٦) الـذي يقضي بتعيـين فؤاد عـارف متصرفا للواء كربلاء، ويعد فـؤاد عارف المتصرف رقـم (٣٤) مـن المتصرفيـن الذيـن تولوا هـذا المنصب منذ تشكيـل اول حكومة عراقية في عام ١٩٢٠، وبذلك التعيين غادر فؤاد عارف الحياة العسكرية الى مجال العمل المدني، اذ احيـل على التقاعـد وفقا لقانون التقاعـد العسكري، مع عدد مـن الضباط ممن تولـوا وظائف مدنية بعـد الثورة. امـا سبب اختيـاره لهذا المنصب فكان اولا وقبل كل شيء تكريما لـه من قادة الثورة، على اعتبار انه كان من الضباط المؤيديـن لتنظيـم الضباط الاحـرار قبل الثـورة وبعدها، على الرغم من عدم انضمامه اليهم بشكل رسمي، فضلا عن علاقتـه القوية بعبد الكريم قاسم الذي اصبح الرجل الاول في العـراق آنـذاك. كما جمعـت فؤاد عـارف علاقات مودة واحـترام باهالي كربلاء منذ عـام ١٩٤٧ كما ذكرنا سابقا، وهنـاك من يرجـح اختيـاره لهـذا المنصب لأنـه ينحدر من اسـرة علوية (السـادة البرزنجية) ويذكر فـؤاد عارف في هـذا السيـاق موضحـا: ((لقد كان عبد الكـريم قاسم يعرف موقـف اهالي المحافظة، لا سيما رجال الدين الافاضل مني (فـؤاد عارف)، لذا فقد فضل ان اكون متصرفا لها (كربلاء) ولمحاولة كسب تأييد رجال الدين للثورة..)).

استهل فؤاد عارف عمله في كربلاء، بالقيام بمهمة الحصول على تأييد علماء الدين في كربـلاء والنجف للثورة، اذ تم تكليفه بهذه المهمـة من قبل عبد الكريم قاسم، على اثر لقاء الاخير بسفير الولايات المتحدة الاميركية له بغداد، الذي حضر في مساء يـوم الخامس عشر من تمـوز عام ١٩٥٨ الى مبنى وزارة الدفاع، الذي اتخذه عبد الكريم قاسم مقرا لـه، والتقى بعبد الكريم قاسم وعبـد السلام محمد عارف، وخـلال اللقاء اثار السفير الاميركي موضـوع عدم تأييد قسـم كبير مـن الشعب العراقـي للثورة، اذ اعـرب لهما ان اعتراف حكومتـه بالوضع الجديد في العراق يتوقف على تأكدها من التأييد الشعبي للثورة.

قـام فـؤاد عـارف بالذهـاب الى علمـاء الديـن في النجـف للحصـول على تأييدهـم للثـورة، مصطحبا معـه قائمقام قضـاء النجـف (محافظـة النجـف حاليـا) السيـد (تقي القزويني) وكان الاخير قد تلقى اتصالا مباشرا من وزارة الدفـاع لتسهيـل تلـك المهمة، لما كان يتمتع به مـن علاقات طيبـة مع علمـاء النجف، فكان لـه دورا كبيـر في مساعدة فؤاد عـارف في الحصول على تأييد علمـاء الدين للثورة، وبذلـك تمكن فؤاد عارف من انجـاز اول وأهم عمل قام به حـين كان يشغـل منصب متصرف لواء كربـلاء، فقد طمأن علمـاء الديـن من اهـداف الثورة ونيـات القائمين عليها، فجـاءت كتب التأييد على شكل رسائـل تحريرية وبرقيات لمؤازرة الثورة والحكومة الجمهورية.

وفي الرابـع والعشريـن مـن تمـوز عـام ١٩٥٨، قـام فؤاد عارف بزيارة وزارة الدفاع بصحبة السيد تقي القزويني، حامـلا معه رسائل التأييـد التي بعث بها علمـاء النجف و كربـلاء للثـورة وعند وصولـه الى هناك كان عبد الكريم قاسم مجتمعـا بالسفير الاميركي في بغـداد، فطلب فؤاد عـارف من المقدم (وصفي طاهـر) الـذي كان مرافقا لعبد الكـريم قاسم، ان يدخل عليه ويبلغه بـأن يخرج اليه، لان هناك امراً مهما يجب ان يطلع عليه، اذ ابلغه الاخير بنجاح مهمتـه في الحصول على تأييـد علمـاء النجـف وكربلاء، فشكر عبـد الكـريم قاسم فـؤاد عـارف على ذلـك، وقال له بانـه سوف يقـول للسفير الاميركـي: (افتح اذاعـة بغداد هذا المساء، الساعـة الثامنة، واصغ الى تأييد علماء الدين الافاضل لثورتنا). وبعد انتهـاء اجتماع عبد الكريم قاسم بالسفير الاميركي، جلس فؤاد عارف مع عبد الكريم قاسم ووزيـر الارشـاد (محمد صديـق شنشل) ولـد في الموصل عـام ١٩١٠، ينتمـي لأسرة معروفـة في الموصـل، اكمـل دراسة القانـون في جامعـة السربـون في باريس، اصبح مديـرا عاما للدعاية خـلال انتفاضة عـام ١٩٤١، اذ اشتهر بخطبه الوطنية ضد البريطانيين، ساهم في تأسيس حزب الاستقـلال ذي التوجـه القومـي العربـي في عـام ١٩٤٦، شغـل منصب وزيـر الارشـاد في اول وزارة بعد ثورة ١٤ تمـوز ١٩٥٨، واستقال من منصبـه في شباط عام ١٩٥٩، توفي ببغـداد عام ١٩٨٩ ودفن فيهـا.، اذ طلب عبد الكريم قاسم من وزير الارشاد كتابـة رسائل شكر جوابية لعلماء الديـن كل حسـب درجتـه، كما طلب منـه اذاعتها مع رسائل التأييـد التـي بعثـوا بهـا، وتجـدر الاشـارة الى ان رسائل التأييـد تلـك ترجمـت الى اللغـة الانكليزيـة، واذيعت في وسائـل الاعلام باللغتيـن العربيـة والانكليزية، التي تمت اذاعتها في السابـع والعشرين من الشهر نفسه، ويبدو ان ذلـك الاجـراء جـاء لكي يتأكد الاميركيون مـن تأييد غالبيـة الشعـب للجمهوريـة التي جاءت بها الثـورة، كي يعترفوا بهـا اعترفـت الولايـات المتحـدة الاميركيـة بالحكومـة العراقيـة الجديدة في الثاني من اب عـام ١٩٥٨، بعد يوم واحد من اعتراف بريطانيا بها.

ومـن ابرز العلمـاء الذين التقاهم فؤاد عـارف، بغية كسب تأييدهم للثورة

السيـد (محسـن الحكيـم)، تشكل مجلـس السيـادة في الرابـع عشر مـن تمـوز عـام ١٩٥٨، ليقوم بمهـام رئيس الجمهوريـة، اذ نصـت المادة العشرون من الدستور المؤقت الـذي اصدرتـه حكومـة الثـورة علـى ان يتـولى رئاسة الجمهورية مجلـس السيادة ويتألف من رئيس وعضوين، واعلـن ذلـك حين اذيع البيـان رقم (٢) الصـادر في اليوم نفسه، وتألـف مجلس السيادة مـن: الفريق الركن محمد نجيـب الربيعي رئيسا وخالـد النقشبندي ومحمد مهدي كبة اعضـاء. الذي بـارك الثورة وايدها من خلال الرسالة التـي بعث بهـا الى (مجلس السيـادة) ورئيـس الـوزراء عبـد الكـريم قاسـم، اذ عبر فيها عـن تمنياته لهـم بحسن التوفيـق لخدمة الدين والاسلام، و المحافظة على الصالح العام، وطالبهم بضرورة اقامة العدل بيْن الناس والعطف عليهم، كما حذرهم من الاستفراد بالحكـم، موضحا ان: (الظلم والاستئثار من اكبر عوامل الدمار)

كذلك اعـرب الشيخ (عبـد الكـريم الجزائري)في رسالته التـي حملهـا فؤاد عـارف الى عبد الكريم قاسم، عن امله في ان يكـون عهـد الجمهوريـة (عهـدا مبـاركا تسـوده العدالـة الاجتماعيـة والمساواة والقيـم الروحية، ليشعر الفـرد بقيمتـه كمواطن له حريتـه وكرامتـه في حدود ما امـر الله..)، فضـلا عـن ذلك فقـد التقى فؤاد عـارف بعدد من علمـاء الديـن البارزيـن في النجـف وكربـلاء حينذاك، والذيـن باركـوا وايدوا الثـورة وهم كل مـن الشيخ عبد الكـريم الزنجـاني، والسيد محمـد الحسـني البغدادي، والسيـد علـي بحـر العلـوم، والشيـخ علي محمـد رضا كاشف الغطاء.

صور من التراث الشعبي في كربلاء

د.عدي حاتم المفرجي

اختصت مدينة كربلاء بتراث شعبي واسع يتصل بعمقها الحضاري وثرائها الديني والمعرفي، فكانت بمثابة لوحة يتجلّى فيها هـذا الثـراء بألوانـه المتنوّعة بطوابـع الحياة مُعبِّرة عـن فولكلورهـا في اللبـس والأزيـاء والعـادات والتقاليد، وبما يرتبط بالمعتقدات الكربلائية مرورا بالأطعمة والأشربـة المبُرْزة في تراث هـذه المدينة؛ فكان المبتغى من هـذه الوقفـة الإسهـام في إلقـاء الضوء على جانـب من غنى هـذا التراث وتنوّعه اعتمادا على مشـارب الكتابة في أرشفة الـتراث الشعبـي الكربلائي على يـد سلمان هـادي آل طعمة وغـيره من المعنيين بتوثيقـه في مجلة (التراث الشعبي) منذ عام ١٩٦٤م.

العادات والتقاليد الشعبية

عُـرف المجتمـع في كربلاء بعادات وتقاليـد اجتماعية حرص عليهـا، لأنهـا تعبر عـن شخصيتـه، فاتسمت العائلـة عموما بكـثرة إنجـاب الأولاد، ويعـد الـزوج المحـور الأساس في العائلـة، فهو رب الأسرة سواء كان متزوجًا بامرأة واحدة أم أكثر، فضلا عن بقاء أبنائه المتزوجين من الذكور مع بناته غير المتزوجـات أو الأرامل والمطلقات ضمن نطاق البيت الواحد، ويكـون الأب أو الجد المشرف على نشاطـات الأسرة المتعلقة بالجوانـب الاقتصادية والاجتماعيـة، ويمتلك حق التصرف بشـؤون أسرتـه في الانفـاق والمسكن والمـأكل ويحميها من الأخطـار()، ولذلك كان أفراد الأسـرة جميعهم يطيعون الأب وينفـذون أوامـره دون مناقشـة، لإدراكهم لمكانتـه ورجاحة عقله وحسن تدبيره في تسيير أمور الأسرة.

ولعـل من المفيـد هنـا أن نستشهد بما يقولـه الرحال جيمس بيكنغهـام عـام ١٨١٦ عندمـا زار العـراق "منطقـة فـرات الأوسـط"؛ إذ لاحـظ أهميـة الرجـل في الأسـرة وخاصـة احـترام المـرأة لـه فقـال" في مناسبـات عديـدة شاهدنا مبلغ عنايـة الزوجات بأزواجهن ومبلغ الاحترام والخضوع الذي تبديه الزوجة لزوجها وفي الصباح حيث يساعدن أزواجهن في ارتـداء الملابـس وخلعها والقيام بكل واجبات الوصيف ويـؤدي الصـلاة يجلس علـى السجادة بينمـا تهيئ الزوجة القهوة او الشاي وتقدمها لزوجها بخضوع بالغ وتقف على بعد منه مكتفة الأيدي في بعض الاحيان، وبعد انتهاء الزوج من شرابه ينـاول زوجتـه القـدح وأحيانا تقبل يـده علامة الخضوع والإخلاص التام.

أما مكانة الأبناء ودورهم في الأسرة فانهم يشكلون العناصر الفاعلـة في مساعـدة الأب اقتصاديـا، يعملـون في مختلـف النشاطـات الاقتصاديـة، لتوفـير الإمكانيات الماديـة للعائلة، وبعد زواجهم تبقى مكانتهم في الأسرة، في حين تبقى البنات الأخريـات في داخـل الأسرة تحـت سيطـرة الأب والأخـوة، ويمكـن القـول إن هـذا النظـام العائلـي المنظم ينبع من طبيعة الكربلائي الذي يميل الى حسن العيش من خلال الأخلاقيات التـي تسهم في إشاعة أجـواء الاطمئنان والارتياح في داخل الأسرة الكربلائية.

وفيما يتعلق بالعادات والتقاليد الخاصة بأحوال الشخصية على سبيـل المثال لا الحصـر "الزواج ومتعلقاتـه، وولادات الأطفال، وعمليـة الختـان، والمأتم" وغيرها من المناسبات، فأنهـا ترسـم صـورة لواقـع المجتمع آنـذاك، فعلـى مستوى مراسيـم الـزواج كان الكربلائيـون يتعمـدون اظهـار الفرح والسـرور بهـذه المناسبة وذلك عـن طريق أشاعـه الأهازيج والدبـكات الاجتماعيـة، فضـلا عما يرافق زفـة العروس الى بيـت العريـس من مظاهـر إطـلاق الصيحـات "الهوسات" وكانـت زفة العروس في عربات تجرها الخيول تسمى الربل وتم استخـدام السيارات أيضـا فيما بعـد وعند وصولها إلى بـاب بيت زوجها يذبح لها الخـروف على عتبة الباب للبركة، فضـلا عـن الرقص المتعارف عليـه عند الرجـال بـ(الجوبي) تعبيرا عن فرحهم وسرورهم، التي تجري برفقة عزف الفرق الموسيقيـة، واعتمـد السياق الاجتماعـي في المجتمع أصولا متعارفا عليهـا في مراسيم الـزواج وخاصة ما يتعلق بتحديد مقـدار المهر المتفق عليه بـيْن ذوي العريس والعروسة وغالبًا يتـراوح الصـداق المؤجـل "الغائـب" بـيْن عشريـن وخمس وثلاثـيْن دينـارا، أمـا المعجـل "الحاضـر" فتـتراوح قيمته تقريبـا بيْن أربعيْن وخمسيْن دينـارا، فضلا عن تقديم الحلي الذهبيـة لهـا التي يجـري الاتفاق عليهـا، وبعدهـا يقرر هذا الاتفاق من خـلال إشهار عقد الـزواج، والزفاف الذي تسبقه ليلـة تعـرف في الاوسـاط الإجتماعية بـ"ليلـة الحنة" والتي يحضـر إليهـا الأقربـاء مـن العروس والعريس، وعادة يزف الأقـارب والأصدقاء العريس الى عروسته بعد صلاة العشاء ويسير الجمع وهم يرددون الأهْزوجة الشعبية التي ما زالت تردد في بعض فئات المجتمع: "شايف خـير ومستاهلهه" "ألـف الصـلاة والسلام عليك يـا رسول الله محمـد، ويلاحظ في مضمـون هـذه الأهْزوجة التي ترافق الـزواج عند أهالي كربـلاء، تشـير الى كونهـا عرفـا اجتماعيًـا يعـود الى حقب طويلـة، ومنهـا الحقبة العثمانية، ولذلـك أتخذه الكربلائيون منطلقا لأهازيجهم.

وفي مقابـل فعالية زف العروس، فـان العروسة هي الأخرى تحظـى باحترام اجتماعـي في مراسيـم الزفـاف، إذ حرص الكربلائيـون علـى حرمتها من خـلال غطائها الـذي يبدأ من رأسهـا الى قدميها، وفي ذلك مؤشر علـى مقدار تمسك أهالي كربـلاء بعفـاف المـرأة لان اللون الأبيض الـذي تتوشح به العروسـة كان يدل على نقاء شرفهـا وعفتها، وتجدر الإشارة الى إن جـدة العروسـة او عمتهـا تصحبهـا الى دار زوجهـا، وهنـاك تبايـن نسبي في مسألة ملابس العروس بيْن منطقة وأخـرى مـن المناطـق التابعـة لمدينة كربـلاء، فـاذا كان أهل المدينـة يتخذون الملابـس البيضـاء للعروسـة في زفافها فإن ذلك لا يتنافـى مع ارتداء العرائـس في المناطق الريفية للون الأحمر؛ ولا تستعمـل ملابس العروسة أكثر من أيام معدودة؛ إذ يتـم الاحتفاظ بها ذكرى لتاريخ الزواج، أما ولادة الأطفال فيحتفي الكربلائيون بـولادة أطفالهم، ويصاحب ذلك توزيع الصدقـات على فقـراء المحلة ولاسيمـا ولادة الطفل الذكر، إذ يشـرع والـد الطفل بإقامة وليمة لأهالي المحلة، كما كان لرجل الديـن دور في هذا المجال إذ يتولى تلقيْن الأذان في أذن الطفل اليمنى والإقامة بالأذن اليسـرى، فضلا عن اعطاء الصدقات للمحتاجيْن والفقـراء وبعدها يسمى الطفل بالأسماء المحببة لـدى أهـالي كربـلاء، وقـد يؤخـذ المولـود الى أحـد العلماء أو الفضـلاء؛ وذلـك ليكـبّر في أذنـه ثلاث تكبـيرات ثم يقول اسم الطفـل، وتبـدأ بعدها مرحلـة جديدة في حيـاة المولود في مجـال تحصيلـه الديني من خـلال دراسته في المدارس، وتجـدر الإشـارة الى حرص الأسـرة على حـث أبنائهم على قـراءة القرآن الكـريم وختمه، فعندما ينتهـي الطفل من ختم القرآن الكريم، تقام لهُ وليمة يدعى إليها الاهالي لبيان المكانة الدينية التي وصل إليها الطفل بعد ختمه القرآن الكريم.

وكان الكربلائيـون يحتفلـون بختان الأطفال أيضـا، إذ تقام بهـذه المناسبة حفلـة خاصة في بيت والد الطفـل المختون وحسـب القـدرة الماديـة لـرب العائلة، ولكـن في كل الاحوال كانـت تجـري بوصفها تعبيرا عن فعالية اجتماعية يحرصون علـى إظهارهـا، وتبـدأ مراسيم هـذه الحفلة بختـان الأطفال في الساعـات الأولى مـن النهار وذلك تجـاوزا للحالات التي قد تحصل جـراء تأخير عملية الختـان وكانت عملية الختان تجـرى اما في البيت او المستشفى، وانسجاما مع دعوة رب الأسـرة لضيوفه بحضور وجبة فطـور صباحية، ويُصاحب ختـان الطفـل رفـع الأصـوات بالتهليـل والتكبـير وتوزيـع الوهلية والصدقات على فقراء المحلة.

أمـا المـأتم (الوفاة) فيتـم أخبار الأقـارب والأصدقـاء بحالة الوفـاة، لغرض تشييعه في أحـد مساجد المدينة، فإذا صادف مـرور التشييع في أحـد الأسواق تغلق الحوانيت احتراما لذلـك، وحين يكون التشييع خاصا بالسادة والعلماء وأبناء الأسر المعروفة في المدينة والوجـوه والأعيان، يدعو المؤذن الناس للحضـور الى دار الفقيد أو إلى أحـد المقتسلات على الوجه الآتي "أخـوانـي المؤمنين: انقلوا اقدامكم الى مغتسل المخيم لتشييع جثمان المرحوم المغفور له السيد فلان بن فلان من آل فلان، الحكم للـه الواحد القهـار"، يكررها ثلاث مرات ()، وإذا كان المتـوفى من شيوخ العشائـر فعادتها ما يصاحب تشييعه إطلاق العيارات النارية أو ما يسمى بالعراضة. (.

تـأمـن بحث نشـره موقع دار الشـؤون الثقافية بالعنوان نفسه.

من أحداث كربلاء في العهد الملكي

د. رؤوف الانصاري

كان لكربلاء دور بارز في ثورة العراق والمطالبة بحريته واستقلاله سنة ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م) وذلك لأن المرجع الديني الأكبر الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي آثر الإقامة في كربلاء لقيادة الحركة المناهضة لسلطة الاحتلال. وبذلك أصبحت هذه المدينة المقدسة العاصمة لحكومة الثورة التي إمتدت سلطتها الى جميع المدن والقصبات والأرياف في عموم مناطق الفرات الاوسط.

وفي غمرة الاحداث التي تطورت نتيجة استياء الشعب من سلطة الاحتلال البريطاني رأت الحكومة البريطانية أن تمتص غضب المعارضين فأصدرت لهذا الغرض أوامرها لوكيل الحاكم الملكي العام في بغداد ليقوم بالتعرف على آراء العراقيين في شكل الحكم الذي يريدونه، وذلك بإجراء استفتاء عام. وحاولت سلطة الاحتلال أن تجري الاستفتاء طبقا لرغبتها. ولكنها فشلت في المدن المقدسة ولاسيما كربلاء، نتيجة الفتوى الشهيرة التي أصدرها المرجع الشيخ محمد تقي الشيرازي وتأييد العلماء المجتهدين في كربلاء والنجف والكاظمية لها والتي نصت على أنه "ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للإمارة والسلطنة على المسلمين".

وأخذ جمع كبير من علماء الدين وزعماء العشائر يأمون هذه المدينة لتلقي التعليمات والأوامر من القيادة الدينية وتدارس الوضع في العراق، وكانت الاجتماعات تعقد لهذا الغرض. وعقد أحد الاجتماعات السرية في دار المرجع الديني الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي لتداول أمر الثورة مما كان له أثره البعيد في اتساع نطاقها واستمرارها في أكثر المدن العراقية.

ولكن بعد بضعة أشهر، بدأت الثورة تخمد رويدا رويدا لأسباب عديدة من أهمها وفاة المرجع الديني الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي في ١٤ آب ١٩٢٠م وقيام سلطة الاحتلال بمناشدة الثوار التفاوض معها مما ادى إلى اختلاف في وجهات النظر. وحدث في هذا الوقت بالذات أمر خطير آخر وهو أن الذخيرة بدأت تنفذ مما كان له أثره البعيد في إضعاف الثورة ثم توقف القتال.

ولم تجد سلطة الاحتلال بدا تحت تأثير وضغط الجماهير المطالبين باستقلال العراق من ترشيح الأمير فيصل بن الحسين شريف مكة المكرمة لعرش اعراق. وقد حملته طرادة بريطانية إلى البصرة فوصل إليها في ٢٣ حزيران ١٩٢١م، ومنها تحرك بواسطة القطار فنزل مدينة الحلة ومنها ذهب إلى الكوفة و النجف. وفي صباح ٢٧ حزيران ١٩٢١م توجه الأمير فيصل وحاشيته من مدينة النجف إلى كربلاء ولم يكن في استقباله علماء الدين البارزون، وقد قضى يوما واحدا في كربلاء زار فيه مرقدي الإمام الحسين (ع) وأخيه العباس (ع).

وفي صباح ٢٨ حزيران ١٩٢١م غادر كربلاء إلى بغداد وبعد ثلاثة أسابيع من وصوله نادى به نجلس وزراء الحكومة المؤقتة التي كانت برئاسة عبد الرحمن النقيب ملكا على العراق بالإجماع.

وفي ١١ آذار سنة ١٩٢٢م، أي بعد حوالي ٧ أشهر من تتويج الملك فيصل ملكا على العراق، أغارت قوة كبيرة من الوهابيين على بعض العشائر في الناصرية جنوب العراق فقتلت حوالي سبعمائة شخص ونهبت الكثير من البيوت ودمرتها.

وعلى أثر ذلك دعا علماء الدين الشيعة إلى عقد مؤتمر في كربلاء المقدسة في نيسان ١٩٢٢م وبمناسبة زيارة النصف من شعبان للاحتجاج على غارات الوهابيين. وقد صدرت عن المؤتمر مقررات أهمها المطالبة بالجلاء البريطاني التام عن العراق وإلغاء الانتداب. وكان من أبرز علماء الدين الضين دعوا إلى هذا المؤتمر الشيخ مهدي الخالصي.

وفي ٢٥ حزيران سنة ١٩٢٢م صادق مجلس الوزراء برئاسة عبد المحسن السعدون على عقد أول معاهدة عراقية بريطانية. وما أن أعلنت على الناس حتى بادرت الحكومة الى انتخاب المجلس التأسيسي، فصدرت الإرادة الملكية لهذا الغرض في ٢٤ تشرين الأول من نفس السنة.

ولقد اتخذ رجال الدين والوطنيون موقفاً موحداً في معارضة تنفيذها، وصدرت الفتاوى من قبل العلماء في كربلاء والنجف والكاظمية بتحريم الاشتراك في الانتخابات). وحينما حاولت الحكومة البدء بالانتخابات من جديد في ١٢ تموز سنة ١٩٢٣م لم تنجح أيضا بسبب رفض الشيعة تشكيل اللجان الانتخابية. وذلك استقالت وزارة عبد المحسن السعدون، فألف الوزارة الجديدة جعفر العسكري في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٢٣م، وكانت تضم بين وزرائها الثمانية وزيرين من كربلاء).

وفي السابع من أيلول سنة ١٩٣٣ م توفي الملك فيصل الأول في سويسرا حيث ذهب إليها لغرض العلاج. وفي اليوم التالي لوفاته توج ابنه الوحيد غازي ملكا على العراق. وقد شهدت فترة حكمه ١٩٣٣- ١٩٣٩ م اضطرابات وانتفاضات عشائرية وانقلابات عسكرية متعددة.

وفي سنة ١٩٣٦م قامت عشائر الفرات الأوسط بحركتها ضد وزارة ياسين الهاشمي. وكان لكربلاء دور مهم في اجتماعات قادة الحركة ورؤساء العشائر. ونتيجة لتلك الاجتماعات خرج ميثاق أسموه (ميثاق الشعب) يدعو إلى المطالبة بحقوقهم، وقد بارك هذا الميثاق الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء ووقع عليه عدد كبير من رؤساء عشائر الفرات الأوسط في الحلة وكربلاء والديوانية والناصرية.

وعلى أثر هذه الحركات قام الجيش بانقلاب عسكري بقيادة الفريق بكر صدقي في ٢٩ تشرين الأول سنة ١٩٣٦م لتغيير حكومة ياسين الهاشمي وقد وافق الأخير على تقديم استقالته بعد ضغوط كثيرة من الانقلابيين.

وفي ٣ نيسان سنة ١٩٣٩م عن مصرع الملك غازي بحادث اصطدام سيارة كان يقودها بنفسه. وقد وقع الحادث في ظروف غامضة. وقد تقرر في نفس الليلة تنصيب ابن الملك غازي الوحيد فيصل الثاني ملكا على العراق ونصب خاله الامير عبد الإله وصيا على العرش وذلك لصغر سن الملك.

وفي هذه الفترة أخذ قادة الجيش يتدخلون في شؤون البلاد وسياسة الحكومة. وقد نجح رشيد عالي الگيلاني في كسب ودهم وقام بحركة عسكرية على حكومة نوري السعيد وشكل حكومة الائتلاف الوطني في ٣١ آذار سنة ١٩٤١م. وفي هذا الوقت حدثت أزمة بين الحكومة الجديدة والحكومة البريطانية أدت إلى نشوب الحرب العراقية البريطانية، وقد خرجت المظاهرات في كربلاء تؤيد هذه الحكومة وقيام الجيش العراقي بحركته الوطنية ضد مطامع الإنكليز.

وفي وثبة كانون سنة ١٩٤٨م كان لكربلاء دور في هذه الوثبة حيث قامت المظاهرات الطلابية مخترقة شوارع المدينة هاتفة بسقوط وزارة صالح جبر ومعاهدة بورتسموث.

وأثناء تشييع جثمان جعفر الجواهري في كربلاء، قامت الشرطة باعتقال عدد كبير من أهالي المدينة.. وأثناء انتفاضة الشعب العراقي في تشرين سنة ١٩٥٢م ضد حكومة نور الدين محمود العسكرية التي أعلنت الأحكام العرفية فور تسلمها الحكم كان لكربلاء دور أيضا في هذه الانتفاضة حيث خرجت المظاهرات في شوارع المدينة تأييدا لها، وبفعل الضغط الكبير من أبناء الشعب قدمت حكومة نور الدين محمود استقالتها وألغيت الأحكام العرفية.

وعلى أثر الاعتداء الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦م هبت جماهير الشعب العراقي لنجدة مصر وشعبها، وكانت كربلاء في مقدمة تلك المدن التي ساهمت في هذا الشأن، وقاومت السلطة الحاكمة آنذاك فقامت فيها مظاهرة كبيرة اشترك فيها أبناء المدينة بكافة فئاتهم وكانوا يهتفون بسقوط الحكومة العراقية والمطالبة بمساندة مصر، مما أدى إلى اعتقال عدد كبير من أهالي المدينة..

عن كتاب (كربلاء الحضارة والتاريخ)

كربلاء في عام 1923 كما تصفها الليدي دراور

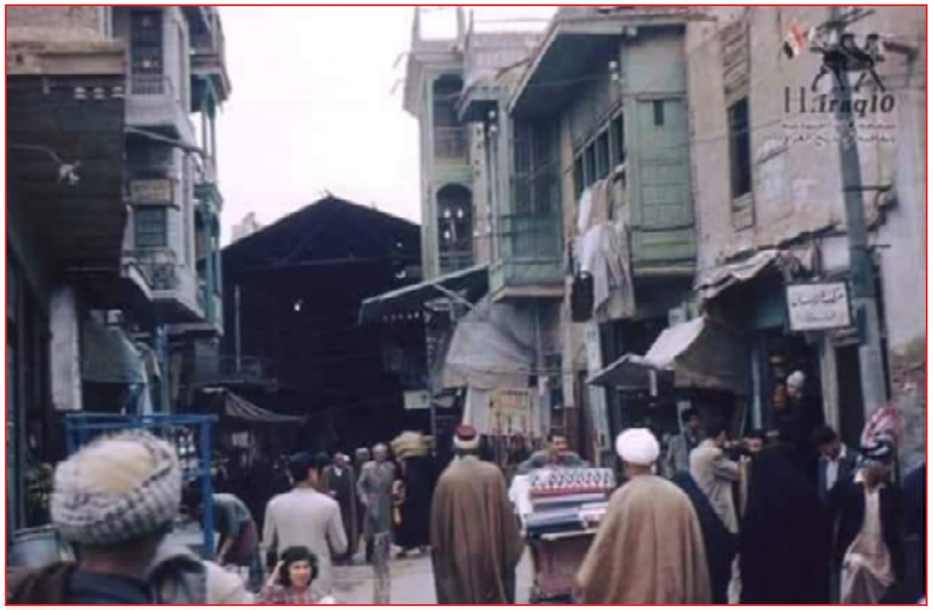

حسين هاشم الطعمة

من المهم جدا ان ندرس عن كثب الرحالة الاجانب عما كتبوه في مذكراتهم عن ارض الوطن وذلك لان نظرتهم الى مدننا وقرانا تختلف عن نظرة ابناء البلد، وذلك لان الرحالة الاجانب يكونون اصحاب نظرة فاحصة للأمور واوصافهم للأشياء تكون مصحوبة بالدقة والتركيز على كل مفصل من مفاصل اليومية العامة منها والخاصة لأهالي البلد الذي يمرون فيه.

وما كتبوه في مذكراتهم وبحوثهم القيمة تكون فيما بعد مرجعا نافعا للقراء والمثقفين والمتتبعين لأحوال وتاريخ البلد الذي يراد منه مراجعة تاريخه وتراثه القديم. والمدن المقدسة – كما يعلم الجميع – حظيت باهتمام كبير من هؤلاء الرحالة الاجانب كما هو واضح في مذكراتهم. ومن هذه الزيارات التي نحن بصدد البحث عنها هي زيارة الباحثة الاثارية البريطانية السيدة (الليدي درور) حيث كانت زيارتها للعراق عام ١٩٢٣م وكان ذلك في مطلع تشكيل الحكومة العراقية في العهد الملكي.

وكانت الاجواء العامة في البلد – آنذاك – مستقرة نوعاً ما وهذا ما جاء في كتابها الموسوم (على ضفاف دجلة والفرات)... وفيما يخص زيارتها لمدينة كربلاء فقد كانت انطباعاتها عن هذا البلد المقدس جميلة ورائعة جداً. حيث اخترنا اهم ما جاء في ما كتبته من نصوص واوصاف وعبارات عن مدينة كربلاء المقدسة... وذلك بعد انتهاء رحلتها من النجف الاشرف

وصفها لمدخل مدينة كربلاء

(... ومن بعيد تتراءى قباب كربلاء ومنائرها بين النخيل، ان شذى زهور الباقلاء هو اول ما تستهويه في مسرى نسماتها الحلوة العليلة... وانت مقبل على المدينة، ويتكاثف الشجر، ويطالعك بعده منظر ساحر فتان. هذا نور كثير وتتدلى اغصان الشجر القائم على حافتي (الحسينية) في صفحة مائها الصافي الرقراق. وهذا طريق آخر بين الجنائن ويفضي الى المدينة نفسها. (وصف عام للمدينة)

(... وبعد (النجف) – وخططها جامدة (على ما رأيت) تطالعك (كربلاء) فتنة للناظرين... فشوارع الجزء الحديث من المدينة مفتوحة مستقيمة، وكأنما هندمت بالقدة والغادن والبركار... وانك لترى الحمير تمر فيها وهي محملة خضرا، لقد خلفنا الصحراء المقفرة المالحة طهريا، فنحن الان في ارض رسوبية خصبة. وبيوت القسم من المدينة تحيط بمساجدها، ان شوارع هذا القسم ملتوية، ولاحظ لها من انتظام... ولكربلاء مقبرة في (وادي الامان) واليها تنتقل اجداث الموتى من كل بلد ناء سحيق...)

الشرح والتعليق

معنى قولها (فشوارع الجزء الحديث من المدينة...) هنا تعني منطقة الجديدة (بضم الجيم وسكون الياء) والتي تسمى حالياً بمحلة العباسية وانشائها كان على يد الوالي المصلح مدحت باشا سنة ١٨٩٠م. واما قولها (وادي الامان) فإنها تعني (وادي ايمن) وهي مقبرة لدفن الموتى تقع الى الشرق من جهة المدينة جهة باب طويريج خارج اسوارها عند منطقة ما يعرف اليوم بمرقد ابن حمزة (رض) وسوق هرج الحالي.

وصفها المعنوي لمدينة كربلاء

(... ان كانت النجف هي الراس المفكر عند الشيعة فالقلب كربلاء. انها اشد قدسية من النجف، فمجرد ذكر اسم (الحسين) الذي تضم تربتها رفاته يثير في نفوس الشيعة اقوى الاحاسيس والولاء له. وتبكي نسوة العراق اليوم كما بكت بابل (تموز) في الماضي القديم. وسرد قصة ما عاناه (الشهيد) يثير فيهن الاسى فتقطع منهن نياط القلوب...)

الشرح والتعليق

الجدير بالذكر انه ليس فقط (نسوة العراق) يبكين الحسين (ع) بيكيه رجال ونساء المسلمين الشيعة في مشارق الارض ومغاربها... وهناك بعد شاسع بين ان ترتبط السيدة (درور) بين اسطورة الاله (تموز) وبكاء اهل بابل عليه في العهد القديم فهذا الوصف وهذه المقارنة بعيدة كل البعد عن مجريات واقعة الطف الاليمة واستشهاد الامام الحسين (ع) ولهذا العذر في ذلك كونها تنطلق من حيث وصفها للاحداث من منطلق الاثاريين الباحثين على الطريقة الغربية.

وصفها لواقعة الطف بشكل عام وجانب من اعمال التشابيه

(... وسرد قصة ما عاناه (الشهيد) يثير فيهن الاسى فتقطع منهن نياط القلوب. وعلى مقربة من موقع كربلاء اليوم حاصر هراطقة الخليذة وجنده (الحسين بن علي) ومنعوه عن الماء، ثم اجهزوا عليه. انها افجع مآسي تاريخ السلام طراً...)

الشرح والتعليق

ومعنى قولها (وعلى مقربة من موقع كربلاء اليوم) تعني موقع مزار المخيم الحسيني اليوم ومعنى (هراطقة الخليذة) تعني جند يزيد بن معاوية الاموي.

وصفها للمرقدين الشريفين (...ان جثمان (الشهيد) مقبو فيها تحت قبة (الحضرة الكبير) وهي اشد العتبات المقدسة حرمة واكثرها ثروة (... ان جثمان (الشهيد) مقبور فيها تحت قبة (الحضرة الكبيرة) وهي اشد العتبات المقدسة حرمة واكثرها ثروة وان شهر محرم هو الشهر المفضل في اداء الزيارات اليها وفي كربلاء مسجد اخر تعلوه قبة مغشاة بالقاشاني ومنائر ذهبية ويضم رفاة العباس، وهو أخ للحسين من ابيه.

وصفها للقسم بالعباس (ع)

(... ولو اقسم الشيعي حانثاً بالحسين لما ناله عقاب، فالامام وديع ويصفح، ولكن العباس عصبي المزاج وعسكري صارم، ويؤمن بالضبط والربط، لذلك لن يجسر احد على ان يقسم به حانثاً. الم تر في سقف مسجد الامام العباس راس رجل معلق به؟! قيل انه اقسم باسم الامام زوراً – فما كان من الراس الا ان يطير عن الجسد ويلتصق بالسقف...).

الشرح والتعليق

وعن رواية السيدة (درور) في شان الراس المعلق في سقف القبة العباسية. وهي عقوبة له كونه اقسم بالعباس كذباً. ونفس هذه الرواية ذكرها الرحالة البريطاني (دوايت روندلسن) وذلك عند زيارته لكربلاء سنة ١٩٢٨ وكما جاء في كتابه (عقيدة الشيعة) ما نصه: (ولعل اغرب ما يراه الانسان هو بقعة سوداء مدورة في سقف القبة وترى قصة ان رجلاً حلف يميناً كاذباً عند هذا الضريح فطار راسه عن يديه واصطدم بالسقف. وتؤكد القصة على الاقل ان القسم الاعظم من الشيعة يترددون في القسم براس ابي الفضل العباس كاذباً...).

وصفها العام لجمال المدينة

(... وكربلاء غنية بالاركان المؤونة الجميلة، وجمالها ليس كجمال النجف، لكن الشارع العظيم المستقيم المؤدي الى المسجد الكبير لاحظ له الخلابة او الجدة. وتنتهي اسواقها المتعرجة دوماً بأبواب تعلوها طوق مغشاة بالقاشاني. ومن هذه الابواب يصار الى مرقد (الحسين) البهيج.

وصفها لأسواق كربلاء

(... والحاكة في اسواق كربلاء مغرية، وفيها الكثير من العطارين. ولو سألتهم ان يسمحوا لك بشم احدى القناني الروائح العطرية الصفراء، او اختبار ما تريد شراؤه منها لما وقفوا دون ذلك. ومنها الاحجار الكريمة والمجوهرات، يعرضون عليك الحلي الذهبية والصناديق التي تحفظ فيها التعاويذ او جزء من القران الكريم، كذلك الاقراط الفارسية وهي جميلة الصنع من خشب الزيتون او من الكهرمان او غيره... ومنها ما هو مصنوع من الزجاج الرخيص...)

وصفها للصناعة المحلية في كربلاء

(...وتختص كربلاء بنوعين من الحرف، اعداد الاكفان للموتى، وصنع (الترب) من طين المدينة وتزيينها بالزخرف. وفي مقدور الزائر، لذلك، ان يرجع الى بلده، ومعه الكفن الذي يدخر الى يوم موته، وتربة يسجد عليها كل يوم عند صلاته...)

وصفها لمحاصيل كربلاء الزراعية وازدهار تجارتها

(... هذا والفواكه والخضر في كربلاء موفورة، ومنها التمور، على انواعها، والبرتقال والليمون والباذنجان والخس والباقلاء وما الى ذلك... وشاهدت فيها السلاسل المليئة باللوز والجوز. وفطائر وولائق ذوات الوان فاتحة وفيها (اللقم) التركي...).

وصفها لخدمة المرقدين الشريفين

(... وتعني بزوار كربلاء، شان باقي زوار العتبات المقدسة. طائفة محترفة خاصة من الناس. ولدى كل فرد منها منهج مرسوم لزيارة المساجد، واقامة الصلاة وارسال الدعاء، وهم يحصلون لقاء ذلك على شيئا من الاجور والعطايا. وفي داخل المسجد لوحات دونت عليها من الناس تعيش على نفحاته).

الشرح والتعليق

وتعني هنا بالطائفة المحترفة هم خدمة المرقدين الشريفين ممن ورثوا هذه الخدمة الشريفة من الاباء والاجداد منذ قرون طويلة وما زالوا والى يومنا الحاضر وهم مستمرين في هذه الخدمة الشريفة. (تقصد بالمسجد هنا هو حرم مرقدي اوهي مرقدي الامام الحسين واخيه العباس عليهما السلام).

نص نادر

تاريخ مطبعة الحكومة في الموصل

رفائيل بطي

أسست مطبعة الحكومة في الموصل – وكانت تسمى مطبعة الولاية في العهد العثماني – سنة ١٨٧٥ م (١٢٩٢هـ) في زمن والي الموصل تحسين باشا الذي جلب أدواتها وآلاتها من الأستانة، وقد ساعد الأباء الدمنكيون على ترويج أشغالها فأنيطت أدارتها بموظفي دائرة الولاية المركزية كالمكتوبجي وكتاب المجالس الإدارية ومن الذين تولوا أدارتها رؤوف أفندي الشربتي وعلي بك كاتب مجلس الإدارة ورؤوف أفندي ابن محمد أفندي والمكتوبجي طاهر بك واحمد أفندي رئيس كتاب المحاسبة الخصوصية ونظمي بك وحسن فائق بك رئيس بلدية الموصل السابق. وعلي بك وخير الدين أفندي العمري نائب الموصل في المجلس النيابي الآن وارسلان بك.

وقد اشتغلت الطبعة الرسمية من يوم تأسيسها بطبع الأوراق الرسمية والأشغال التجارية ودفاتر دواوين الحكومة والتقاويم السنوية باللغة التركية المسماة (موصل سالنامة سي) وفيها طبعت جريدة (موصل) الرسمية وهي جريدة أسبوعية أخلاقية أخبارية ظهرت سنة ١٨٧٩م (١٢٩٧هـ) وقد كانت في أول صدورها تنشر باللغتين العربية والتركية ثم اقتصرت على اللغة التركية وأعيد القسم العربي إليها في آخر عهد العثماني بالموصل.

فلما دخل البريطانيون الموصل في اليوم الثاني عقيب إعلان الهدنة سنة ١٩١٨م (١٣٣٧هـ) استأنف الكولونل لجمن الحاكم العسكري للموصل إصدار الجريدة الرسمية اللغة العربية فقط فكانت تصدر مرتين في الأسبوع وعهد بإنشائها في أول الأمر إلى القس سليمان الصائغ الكلداني الموصلي مؤلف (تاريخ الموصل) ثم تسلم إنشاءها الأستاذ أنيس الصيداوي الصحفي البيروتي ورئيس الثانوية في يافا (فلسطين) آلان. وأعقبه في القيام بشؤون هذه الجريدة التحريرية يونان عبو اليونان من كتاب الموصل الذي تركها أخيراً وانخرط في سلك طلاب متقن الطب المؤسس حديثاً في بغداد. وأخذت تصدر بعد ذلك أربع مرات في الأسبوع.

وفي مطبعة الولاية هذه طبعت حيناً جريدة (نينوى) لسان حال الاتحاديين العثمانيين باللغتين العربية والتركية. وجريدة (نجاح) لسان حال حزب الائتلاف باللغتين العربية

والتركية أيضاً وجريدة (جكه باز) الهزلية باللغة التركية فقط.

ولما صدرت أموال الأجانب في الحرب الكونية العظمى وكانت مطبعة الآباء الدمنكيين في جملة ما صودر نقل إلى مطبعة الحكومة كثير من أدوات وآلات وحروف بعض ما حفظ في المطبعة. فلما احتل الإنكليز الموصل أدوا إلى دير الدمنكيين ومبعثهم بعض ما حفظ في المطبعة الرسمية من منهوبات مطبعتهم ولم تمتد إليه يد السرقة أو التلف.

وفي السنة الماضية جدد في هذه المطبعة قسم مهم من حروفها وآلاتها كما أعيد إلى المبعث المنكي بعض ما فضل فيها من آثار مطبعتهم بلا استعارة.

من مطبوعاتها:

١ – أبهى القلائد في تلخيص انفس الفوائد) تأليف السيد احمد فائز ابن السيد محمود أفندي البرزنجي سنة ١٣١٥هـ (١٨٩٧م) ص ٢٢٦ وهو فيلعقائد الإسلامية والكلام وقد طبع برخصة نظارة المعارف في الأستانة المرقمة ١١٧ وبتاريخ ذي القعدة سنة ١٣١٤هـ (١٨٩٦م) في عهد ولاية زهدي بك الوالي العثماني على الموصل.

٢ – سالنامات لسنوات متعددة باللغة التركية

٣ – منهج التعليم الابتدائي سنة ١٩١٩ ص ٦٤

٤ – نظام بلدية الموصل (موقت) ص ٢٤ سنة ١٩٢٠

٥ – إيضاحات في تدريس اللغة العربية في المدارس سنة ١٩٢١ ص ١٠

٦ – منهج لتعليم اللغة العربية للطلاب الذين لسانهم غير العربي ص ١٣ سنة ١٩٢١

وقد طبع في هذه المطبعة بعض الكتب المدرسية باللغة التركية.

اما مطبعة نينوى أو سرسم أو أشور أو عيسى محفوظ في الموصل تغير اسم هذه المطبعة مرارا فكانت في أول تأسيسها مطبعة نينوى ومطبعة سرسم أحيانا فمطبعة أشور فمطبعة عيسى محفوظ وهو اسمها الحالي وكان مؤسسها عيسى محفوظ الموصلي بشركة فتح الله سرسم وذلك في سنة ١٩١٠م (١٣٢٧هـ) وجلب آلاتها وأدواتها من باريس وحروفا عربية ولاتينية. وفيها صدرت جريدة (نينوى) باللغتين العربية والتركية وجريدة (جكه باز) الهزلية.

وفي أبان الحرب العظمى صادرتها الحكومة العثمانية مدة عشرة أشهر وأخذت تطبع فيها جريدة حقه طوغرو (دعوة الحق) لبث دعوتها باللغات الأربع التركية والعربية والفارسية والكردية. فلما كان الاحتلال البريطاني أعيدت المطبعة إلى صاحبها وهي اليوم تصدر جريدة (صدى الجمهور) العربية مرتين في الأسبوع. واشتغلت مدة بطبع الأوراق التجارية وأغلفة أوراق (السيكارة) وصاحبها متفنن في حفر الألواح المنقوشة وطبعها فيها.

وفي هذه المطبعة طبعمن مجلة (النادي العلمي) التي كان يصدرها النادي المذكورفي الموصل عقيب الاحتلال البريطاني.

من مطبوعاتها:

١ – (عنوان البيان وبستان الأذهان) كتاب لأحد المؤلفين القدماء في الحكم والآداب في جزأين صغيرين سنة ١٩١٤.

٢ – التحفة السنية في الهدية السنوية لعلي الجميل الموصلي سنة ١٨٩٥

٣ – بدائع الأفكار ياخوذ الحكمة والأدب للترك والعرب تأليف فاضل الصيدلي الموصلي وهي شذرات عربية أدبية مشروحة باللغة التركية ص ٣٢ سنة ١٣٣٠هـ (١٩١١م).

٤ – خطبة نادي المشرق – كتاب سياسي عمراني خاطب به مؤلفة الأستاذ السيد محمد حبيب العبيدي، مفتي الموصل الان، أمم الشرق ودعاها إلى النهوض وقد أوحت إليه بهذه المعاني الحرب العثمانية البلقانية كتب عليه الرسالة (ينفق ريعها في سبيل تعزيز مبدأها) ص ٨٨ سنة ١٣٣١هـ (١٩١٢م).

٥ – (الأناشيد الموصلية) ألفه محمد سعيد الجليلي الكاتب في سكرتارية المجلس النيابي في بغداد الآن في ٢٤ ص سنة ١٣٣٢هـ (١٩١٤م) ولهذا الكاتب حكاية لا بد من إثباتها هنا للتاريخ:

كان مؤلف هذا الكتاب سنة ١٣٣٢هـ (١٩١٤م) مدرسا في مدرسة (دار العرفان) الرسمية وقد اسند إليه تدريس الأناشيد وهو التعليم المدخل حديثا في منهج الكتاتيب الابتدائية والذي قصد به تدريس أناشيد (الحماسة التركية) لخدمة القومية التركية في نفوس النشء العربي؛ فلم ير المدرس وهو من الشبان العرب المتحمسين لقوميتهم العربية أن يكون وسيلة إلى

نفث الروح التركي في نفوس النشء الغض وإماتة الحس القومي العربي وقد كان يومئذ منحصرا في أفراد قلال يعدون على الأصابع وذلك لشدة ضغط الاتحاديين فعزم على تدريس الأناشيد باللغة العربية فلم يجد بين الأيدي كتابا يحس تداوله لهذا الغرض فطلب إلى بعض الأدباء الموصليين أن يضعوا أناشيد ليعلمها للأحداث فلبى طلبه جماعة منه: قاسم الشعار قاضي محكمة بعقوبة الشرعية حالا وداود الملاح الذي قصفته المنون في سني الحرب الكبرى والأستاذ محمود الملاح الذي كان متبرعا بإلقاء دروس التاريخ والجغرافية في المدرسة المذكورة وهو الآن مدرس اللغة العربية في دار المعلمين في بغداد ونظموا بضع أناشيد تتضمن التغني بمجد العرب التاريخي وإذكاء نار الحماسة في أفئدة النشء العربي فجمعها المدرس الذكور وطبعها في رسالة مع مقدمة له وشرح بعض الألفاظ والأعلام التيوردت فيها.

٦ – تنوير الأذهان في بعض حقائق تاريخ الكلدان – نبذة مختصرة رتبها حنا نرسي الموصلي الكلداني ص ٦٧ سنة ١٩٢٦م

٧ – برنامج الجمعية الخيرية السريانية الكاثوليكية ص ٣٥ سنة ١٩٢٧م

٨ – التقرير السنوي الأول لجمعية الإحسان للسريان الارثودكس في الموصل لسنة ١٩٢٦ – ١٩٢٧م.

مجلة لغة العرب في ١ تشرين الثاني ١٩٢٧

أول مدرسة أهلية في بغداد

قصة تأسيس المدرسة الجعفرية في بغداد

أحمد الخالدي

في سنة (١٣٢٤)هـ (١٩٠٨)، استورد التاجر البغدادي الحاج سلمان ابو التمن سماورات من الهند وكانت اعدادها محدودة جدا وغير معروفة في العراق (السماور هو جهاز لغلي ماء للشاي، ويصنع من صفائح الفضة والبرونز الاصفر والابيض)، وكلمة سماور فارسية معناها (ثلاث معطيات)، اذ انه يتألف من ثلاثة اقسام، اعلى لوضع الفحم، وسط للماء، اسفل يتجمع فيه الرماد، متقنة الصنع، جميلة الشكل، حلوة المنظر، وفي أول نزولها للسوق نالت اعجاب الناس في ذلك الزمان وأقبلوا على شرائها ونفذت من الأسواق فور طرحها وخلال فترة قصيرة .

ولما علم الحاج سلمان بذلك أمر كاتبه اليهودي (شمّيل سوميخ) بان يكتب برقية بطلب كمية اخرى مضاعفة منها لحسابه، فمرر اليهودي برقية ووقعها له سلمان ابو التمن، وذهب بها الكاتب الى البريد ليبرقها الى موميي في الهند.

وبعد اكثر من شهر ظهرت السماورات ولكن في حانوت عباس محبوب اغا ولم تصل لمحلات الحاج سلمان في الكاظمية والشورجة، وتبين بعد ذلك ان (شمّيل) طلب من أحد جماعته من تجار اليهود استيراد تلك الكمية لحسابه الخاص بدلا من الحاج سلمان، فدهش ابو التمن من خيانة كاتبه وطرده من الخدمة لديه، وقال له احدهم بعض اصدقائه لو كنت تتقن اللغات الأجنبية لما استطاع كاتبك ان يستغفلك ويتسبب في الحاق الضرر بك ولو كان أحد أولادك يتقن اللغات الأجنبية لاستعنت به ولما حدث ذلك. من هذه الحادثة تولدت فكرة فتح مدرسة لتعليم اللغات الانكليزية والالمانية والفرنسية للنشء العراقي الجديد من ابناء المسلمين.

في اول الامر تردد ابو التمن معتبرا ان الفكرة من الكفر والمروق عن الدين، لكن اصحاب الفكرة ألحوا عليه فطلب منهم أخذ فتوى من السيد محمد سعيد الحبوبي، وفي اليوم التالي جاء ابو التمن مع احد اصحاب الفكرة وذهبا الى محطة الترامواي الذي نقلهم الى الكاظمية حيث منزل الفقيه الحبوبي، وبعد النقاش معه وسرد قصة السماورات وان العراقيين من غير المسلمين فقط يحتكرون مهنة المحاماة واتقان اللغات الاجنبية، فهل بالامكان فتح مدرسة للمسلمين لتعليمهم اللغات، فقال الحبوبي انكم تشكرون على الفكرة لانها ضرورية وقال (من تعلم لسان قوم أمن مكرهم).

اجتمع الحبوبي في دار ابي التمن للترويج للفكرة بحضور السيد عبدالكريم السيد حيدر، والشيخ جواد توييج، وبعد فترة اجتمع كل من مهدي الخاصكي، عبدالكريم حيدر، علي السيد مهدي البغدادي، جعفر السيد هاشم، امين الجرجفجي، داود ابو التمن، سلمان ابو التمن، الشيخ شكر الله قاضي المحكمة الجعفرية ببغداد في مسجد الحاج ابي التمن، وتم تقديم طلب الى الوالي باللغة التركية لاستحصال موافقة باجازة المدرسة، وحصلت الموافقة.

تم اختيار القاضي الشيخ شكر الله مديرا للمدرسة، لكن الشيخ المذكور لا يملك اية شهادة مدرسية عثمانية وانما درس على يد العلامة محمود شكري افندي الألوسي، وكان الاقتراح ان يحصل على اجازة للتدريس من محمود شكري، وحرر الاخير له الشهادة وقدمت الى مدير المعارف، لكن جواب المعارف (ان هذه الشهادة لا تخول صاحبها ان يكون مديراً لمدرسة رشدية واعدادية)، بعدها تمت الموافقة عن طريق الوالي، وبعد فترة جاء كتاب من مديرية المعارف وجاء فيه (بناءا على الطلب المتقدم بالعريضة المرقمة (١٣٢٤) من قبل الشيخ شكر الله والسيد علي البغدادي، قد سمحت الولاية بفتح وتأسيس مكتب (الترقي الجعفري العثماني)، فنرجو تبليغ المستدعين بمراجعة مديرية المعارف لتلقي التعليمات اللازمة ودمتم).

بعد وصول كتاب مديرية المعارف، استأجرت هيئة المدرسة الدار التي كان يسكنها (ارستو) الطبيب اليوناني المشهور، وهي مجاورة لمسجد الحاج داود ابي التمن بعشرين ليرة عثمانية من الذهب في السنة والمتبرعين للمدرسة الجعفرية اول مرة هم:

السيد جعفر السيد هاشم (٣٠) ليرة ذهب.

الحاج داود ابو التمن (٥٠) ليرة ذهب.

أمين الجرجفجي (٤٠) ليرة ذهب.

الحاج مهدي الخاصكي (٢٠) ليرة ذهب.

في ٨ / ٧ / ١٩٢١ أدار الامير فيصل المدرسة الجعفرية، وقد اعدت المدرسة احتفالاً فخماً دعت اليه كثيرا من الزعماء والعلماء والادباء والشعراء وعلية القوم منهم نوري الياسري، علوان الياسري، محمد الصدر، محمد بحر العلوم، عبد الكريم الحيدري، عبد الواحد سكر، سالم الخيون، جعفر العسكري، باقر الشبيبي، احمد الداود، عبد المجيد الشاوي، ابراهيم ناجي، الشاعر عبد الحسين الازري، الشاعر جميل صدقي الزهاوي، محمد مهدي البصير، كامل الدجيلي، وغيرهم، وتبرع عدد من الحاضرين للمدرسة، اما الشاعر جميل صدقي الزهاوي فليس لديه ما يتبرع به فقال:

لاخيل عندك تهديها ولا مال فاليسعد النطق ان لم تسعد الحال

فصفق له الجميع وقام جعفر العسكري متبرعاً بدله.

ملاك المدرسة الجعفرية عام (١٩٢٣):

المدير . الحاج كمال.

المدرسون. محمدرضا الفتال، ملا مصطفى، عبد الستار الشيخلي، صادق الملائكة، سامي خونده، نوري ثابت، الشيخ جواد الزنجاني، كاظم شكاره، عزيز البغدادي، احمد مدحت، ناصر عوني.

ومن أوائل طلبتها كان:

عبود زلزلة، حسام الدين الهادي، جعفر الخياط، جميل كبه، حسن الصباغ، عبد الصاحب الملائكة، عبد المجيد محمود، ضياء شكاره، جعفر حبة.

من ابرز معالم محلة صابيغ الآل: المدرسة الجعفرية .... كان مقرها في اول تأسيسها في الدار التي يسكنها الدكتور ارسطو بجوار مسجد الحاج داود ابو التمن، ثم انتقلت منها الى دار الحاج يوسف الازري الواقعة في محلة سوق الغزل. ومنه انتقلت الى بنايتها الجديدة .

واول من تولى رئاسة جمعيات المدارس الجعفرية وادارة مدرستها هو الشيخ شكر الله بن احمد، منذ تأسيسها سنة ١٩٠٨ الى ١٩١٨ وهو من علماء بغداد والكاظمية وقد ساهمت شخصيات معروفة في الهيئة الادارية لجمعية المدارس الجعفرية على مر السنين. نذكر منهم: سلمان داود ابو التمن / صالح جبر/فاضل الجمالي / جعفر الشبيبي / عبد الكريم الازري /عبد الهادي الجلبي / صادق البصام / سلمان مهدي التميمي .

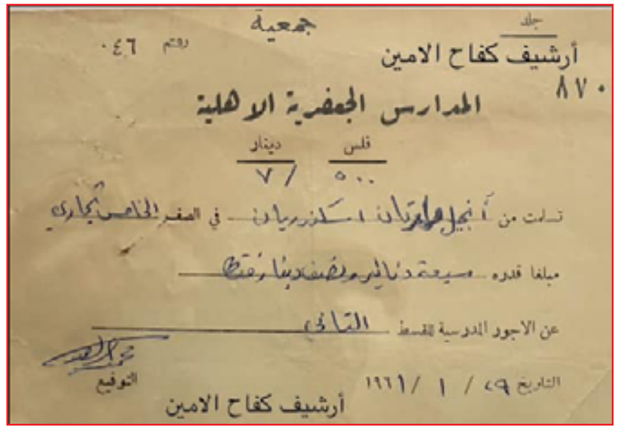

جلد
أرشيف كفاح الامين
٨٧٠
جمعية
رقم ٤٦
المدارس الجعفرية الاهلية
فلس ٥٠٠
دينار ٧/
تسلمت من أنيل مرزان اسكندريان في الصفر الخاص بجاري
مبلغا قدره سبعة دنانير وخمسمائة فلس
عن الاجور الدراسية لقسط الثاني
التوقيع
التاريخ ٢٩ / ١ / ١٩٦١
أرشيف كفاح الامين

بمناسبة تجديد شارع الرشيد

خوف شعبي قديم من تغيير ملامح أقدم شارع ببغداد

رفعة عبد الرزاق محمد

ان الوعي بحماية الشارع والحفاظ على تراثه، قد بدأ منذ ثلاثينيات القرن الماضي، فمما ذكره المرحوم محمود صبحي الدفتري في بعض ما املاه، انه في عهد امانته للعاصمة في الثلاثينيات اراد توسيع شارع الرشيد في بعض مناطقه، الا انه واجه معارضة شديدة، فرد على منتقديه انهم سيندمون على معارضتهم في المستقبل!، وفي عام ١٩٤٦ بدأت امانة العاصمة في تطوير شارع الرشيد، الا انها اختارت وسيلة هدم بعض المؤسسات التراثية، ومنها جامع مرجان فقد كانحائط الجامع على الشارع كبيرا وجميلا، الا ان معاول الهدم لم تبقي عليه، مما اثار حملة نقد كبيرة لجرأة الامانة بهدم هذا الاثر الذي يرقى الى العهد المغولي، ولعبت جريدة (صوت الاهالي) دورا كبيرا في ذلك. وكان المقال الشهير لصاحبها الاستاذ كامل الجادرجي، تحت عنوان (هدم جامع مرجان بأثاره الفريدة جناية على الفن) حديث الرأي العام، فبعد حديثه عن تارخ بغداد الغني الحافل وفقره بالوقت نفسه بأثاره القديمة، قال:

... فوجيء الناس بهدم الجامع والظاهر ان امين العاصمة الذي اعتبر هذه القضية قضية شخصية، عد نفسه مخذولا، فجدد نشاطه، واستعمل نفوذه الشخصي لدى الوزارة الحاضرة التي لم تعتبر قرار الوزارة السابقة بهذا الشأن قرارا نهائيا، فأستصدرت قرارا مستعجلا بهدم الشارع. وكم كانت دهشتي عظيمة عندما رأيت العمال يهدمون البناء من دون ان تكون هناك عناية بالمحافظة على تلك الاثار النفيسة، فكانت الكتابات والزخارف تتحطم وتنهار تحت الانقاض من غير ان يكون هناك مراقبة ما من جانب مديرية الاثار، فذهبت الى تلك الدائرة مستفسرا عن هذا العمل الشائن، فقيل لي انه لم يكن للدائرة سابق علم بهذا القرار الاخير، وانها في تلك الحالة لم تتمكن من انقاذ تلك الاثار الا بنسبة ضئيلة، وهكذا تلاشى هذا الاثر النفيس نتيجة قرار طائش.

والحقيقة ان تجميل المدن اصبح فنا رفيعا يحتاج الى ثقافة واسعة ودراسة شاملة، بالاضافة الى الاختصاص والتنظيم فيما يتعلق بالفن المعماري وتاريخ المدينة التي يراد تجميلها او اعادة تنظيمها، والصفة الخاصة التي تمتاز بها ايضا.

فليس تجميل المدينة معناه تخطيط الشوارع بالمسطرة من دون الالتفات الى ما يجب صيانته من اثار نفيسة قيمة ان وجدت... فحتى في المدن التي لا تعترض الاثار التاريخية تخطيطها اصبح التخطيط يعين بموجب انحرافات اصطناعية خشية ان تكون الاستقامات الطويلة مملة، وبهذا الاعتبار لا يتطلب تجميل مدينة بغداد نفسهاان تكون شوارعها على هذه الاستقامة المملة، بل كان يجب ان تراعى فيها قبل كل شيءالمحافظة على البقية الباقية من لأثارها القديمة. (صوت الاهالي ٩ نيسان ١٩٤٦).

اني اخشى على الشارع بعد تصاعد صيحات المطالبة بأصلاح امره، او التسرع بأتخاذ القرار، من خيال التطوير وتجريبية الشركات الهندسية التي يعهد اليها تنفيذ عملية التطوير المعماري. فالشارع وحدة واحدة ليست لها صلة بما حولها من محلات وجسور، فتلك لاتتصل مع الشارع الا بمنافذ محددة، والحديث عنها ليس محله هنا.

ومنذ البدء، كانت للشارع حكاية معمارية متميزة، فلم تعرف بغداد قبل فتح شارع الرشيد عام ١٩١٦، سوى شارع ضيق يمتد من سوق الخفافين وينتهي عند رأس جسر الاحرار، هو ما يدعى بشارع المستنصر او النهر. ولعله من بقايا دار الخلافة العباسية التي كانت تضم قصور الخلفاء و حريمهم وما يتصل بمقر الخليفة. وتذكر كتب الخطط البغدادية انها كانت تمتد من شارع السمؤل (البنوك) حتى محلة المربعة وتطل على دجلة، وهو على اية حال لايمكن تسميته بشارع، او قل انه زقاق عريض على غير ما عرف في ازقة بغداد.

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (5937) السنة الثانية والعشرون - الاثنين (7) تموز 2025

www.almadasupplements.com

رئيس التحرير التنفيذي: علي حسين

سكرتير التحرير: رفعة عبد الرزاق

"21عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون